مجلة

العلوم الإنسانية المرقب

علمية محكّمة - نصف سنوية

Journal of Human Sciences

تصدرها كلية الآداب / الخمس

جامعة المرقب. ليبيا

Issued by Faculty of Arts - Alkhums - Elmergib University - Libya

تصنيف معامل التأثير العربي 2025م (2.11)

تصنيف معامل ارسيف Arcif 2025م (0.1261)

تصنيف الرقم الدولي (ISSN/3106-0048)

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية (2021/55)

31

العدد

الحادي

والثلاثون

سبتمبر

2025م

قراءة في قصيدة الاستنجاد للشاعر أحمد بن عبد الدائم الأنصاري (دراسة تحليلية)

إعداد: أ.محمد فتحي محمد قدقود•

أ. فرحات أحمد عمر المرغني•

الملخص:

يدرس هذا البحث القصيدة التاريخية للشاعر أحمد بن عبد الدائم الأنصاري، التي كتبها إثر الهجوم الفرنسي على طرابلس عام 1728م، كوثيقة أدبية تكشف الملامح السياسية والعسكرية لولاية طرابلس الغرب العثمانية في القرن الثامن عشر، حيث تكشف النتائج عن كيفية تجسيد القصيدة للعلاقة الهرمية بين الولاية والمركز العثماني، ومدى الوعي بالتفاوت التكنلوجي مع القوى الأوروبية، والدور الذي يلعبه الخطاب الديني في تعزيز شرعية السياسة، ودور الشعر كوسيلة اتصال سياسي فعّالة لنقل هموم الأطراف إلى المركز.

Abstract:

This research examines the historical poem by the poet Ahmed bin Abdul Daim Al-Ansari, written following the French attack on Tripoli in 1728 AD, as a literary document that reveals the political and military features of the Ottoman province of Tripoli in the eighteenth century.

• قسم اللغة العربية\ كلية التربية –الخمس\ جامعة المرقب، mfqadqoud@elmergib.edu.ly

• قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية\ كلية الآداب والعلوم سلوق\ جامعة بنغازي، farhat.omar@uob.edu.ly2,

The findings reveal how the poem embodies the hierarchical relationship between the province and the Ottoman center, the extent of awareness of technological disparities with European powers, the role played by religious discourse in strengthening political legitimacy, and the role of poetry as an effective means of political communication to convey the concerns of the peripheries to the center.

المقدمة:

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

تمثل الوثائق الأدبية مصدراً مهما لدراسة التاريخ السياسي والاجتماعي، خاصة في الفترات التي تندر فيها السجلات الرسمية، وتأتي قصيدة الشاعر أحمد بن عبد الدائم الأنصاري، التي كتبها استجابة للهجوم الفرنسي على طرابلس 1728م، كأنموذج مميز لوثيقة أدبية تكشف عن تداخل العوامل السياسية والعسكرية في ولاية عثمانية خلال القرن الثامن عشر.

تشكل هذه القصيدة مصدرا أساسيا لفهم طبيعة العلاقة بين الأطراف والمركز في الخلافة العثمانية، وآليات التواصل بينهما، واستراتيجيات المواجهة مع التحديات الأوروبية المتصاعدة، كما تقدم تصورا دقيقا عن موازين القوى العسكرية والتكنولوجية في حوض البحر المتوسط خلال هذه الفترة الحرجة.

فرضية البحث:

ينطلق هذا البحث من فرضية مفادها أن الخطاب الشعري يوظف العناصر الفنية في تسجيل أحداث العصور لتقديم رؤية تلامس الواقع وتجعله حيا لدى المتلقي، وهو ما ستتم ملاحظته في قصيدة الاستنجاد للشاعر أحمد بن عبد الدائم الأنصاري.

أسئلة البحث:

- ما الأبعاد الدلالية والموضوعات الرئيسية التي تشكل منها النص الشعري؟
- كيف انعكس الواقع التاريخي والعسكري في تشكيل الخطاب الشعري؟
- ما الوسائل الفنية والبلاغية التي وظفها الشاعر لتحقيق غاياته التواصلية؟

الأهداف:

- تحليل البنية الموضوعية والدلالية للقصيدة.
- الكشف عن الآليات التواصلية بين الولاية والمركز العثماني.
- تحليل الأساليب البلاغية والصور الفنية الموظفة.
- دراسة الأبعاد السياسية والعسكرية في القصيدة.

المنهجية:

ستعتمد هذه الدراسة على المنهج التاريخي السياقي، والمنهج الوصفي التحليلي، لإجراء التحليل الموضوعي للقصيدة، والدراسة السياقية للأحداث التاريخية.

الحدود البحثية:

- **الزمانية:** القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي.
- **المكانية:** ولاية طرابلس الغرب العثمانية.

- **الموضوعية:** قصيدة الاستنجاد.

هيكلية البحث:

المبحث الأول: الشاعر والقصيدة–الإطار النسقي:

- **التعريف بالشاعر.**
- **شعره.**
- **مناسبة القصيدة.**

المبحث الثاني: التحليل الموضوعي للقصيدة:

- ***التمجيد والثناء.***
- ***وصف العدوان والمقاومة.***
- ***التفاوت العسكري والتحدي.***
- ***الختام والنداء.***

الخاتمة والتوصيات.

طبيعة هذه الدراسة فرضت على الباحث هذه الهيكلية التي تركز على التحليل الموضوعي للقصيدة مع الربط بالسياق التاريخي والأدبي.

التعريف بالشاعر:

ظلت حياة هذا الشاعر يلفها الغموض بسبب ضياع أهم الكتب التي ترجمت له وهو كتاب الإرشاد إلى معرفة الأجداد الذي ألفه محمد عبد الكريم الأنصاري[1] مترجما فيه لأجداده فالشاعر أحمد بن عبد الدائم الأنصاري "هو الجد

[1] " محمد بن عبد الكريم بن أحمد بن عبد الرحمن النائب الطرابلسي اشتهرت أسرته بأسرة النائب لتعاقبهم في نيابة القضاء خلفاً عن سلف وكانوا يسمون آل العسوس لقب منحوث من عيسى الأوسي. ولد بطرابلس وبها نشأ، ... توفي سنة 1232هـ رحمه الله "الطاهر

الأول لأم المؤلف "[1]، لم يبقَ لنا من هذا الكتاب شيء سوى بعض الورقات التي نسخها الأستاذ أحمد بن محمد الفقيه حسن، وأرسلها للشيخ الطاهر الزاوي الذي واجهته صعوبة في الوصول إلى معلومات عن حياة هذا الشاعر، فأخذ يرسل لأصدقائه من أهل التخصص لعلهم يساعدونه في الوصول إلى شيء يشفي الغليل، ولم يحظ بما أراد إلا عند الأستاذ أحمد الفقيه، وعن هذا يقول الشيخ الطاهر الزاوي: " منذ أن اعتزمت طبع هذا الكتاب[2] وأنا أكتب إلى أصدقائي بطرابلس ممن لهم صلة بالعلم بشأن البحث عن ترجمة للشيخ أحمد بن عبد الدائم الانصاري "ثم قال: "أما ما يتعلق بترجمة الشيخ أحمد بن عبد الدائم الأنصاري، فقد كتب إليّ صديقي الفاضل الأستاذ أحمد بن محمد الفقيه حسن نبذة تتعلق به ننشرها بنصها مع الاكتفاء بها حيث لم يكن لدينا من المعلومات غيرها." [3]

وقد واجهت المشكلة نفسها الأستاذ علي مصطفى المصراتي حين ترجم للشاعر في كتابه أعلام من طرابلس إذ يقول: " ولقد سألت كثيرا وبحثت طويلا عن ترجمة الناظم فلم أجد شيئا يشفي الغليل ويرضي القلم الجائع"[4].

أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، دار المدار الإسلامي، بيروت – لبنان، ط3، 2004م، ص: 338.

[1] محمد بن خليل ابن غلبون، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، ت: الطاهر الزاوي، دار المدار الإسلامي، بيروت–لبنان، ط1، 2004م، ص: 13.

[2] يقصد به: (كتاب التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار) الذي عنى بتصحيحه والتعليق عليه الطاهر أحمد الزاوي نفسه.

[3] محمد بن خليل ابن غلبون: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، ص: 13.

[4] علي مصطفى المصراتي: أعلام من طرابلس، دار مكتبة الفكر، طرابلس–ليبيا، ط 2، 1392هـ 1972م، ص: 192، 193.

وفيما يتعلق بتاريخ الولادة والوفاة فإن ما توفر للباحث من معلومات عن الشاعر لم يذكر فيها أي منهما، وإنما هي إشارات وردت في بعض قصائده يستشف من خلالها الفترة الزمنية التي عاش فيها، منها تلك القصيدة التي نظمها للاستنجاد بمَلك القسطنطينية حين ضرب الأسطول الفرنسي حصارا على طرابلس وذلك سنة 1140هـ 1727م، وقد ذكر هذا التاريخ في القصيدة إذ يقول:

فِـــي يَـــوْمِ عِيـــدِ الْمُســـلِمينَ وَنَحْـــرِهِمْ مُتّـــــرقّبِينَ بِفُرْصَـــــــةٍ لِلْمَـــــــدْخَلِ

عـــامَ أَرْبَعـــينَ مَضَـــتْ لِهِجْـــرَةِ أَحْمَـــدٍ مِـــنْ بَعْـــدِ مَـــا مائـــةٍ وأَلْـــفٍ كُمَّـــلِ[1]

ومن الإشارات المهمة أيضا قصيدته المشهورة في مدح طرابلس والرد على الوزير الإسحاقي الشرقي[2] الذي ذم طرابلس حين عودته من رحلة الحج التي مرّ خلالها بالأراضي الليبية سنة 1143هـ 1731م وبهذا فإن تاريخ نظم هذه القصيدة يكون بعد سنة 1144هـ 1731م.[3]

[1] ينظر: عبد الحميد عبد الله الهرامة: فصول من تاريخ ليبيا الثقافي، أصالة للنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1999، ص: 152، ينظر أيضا: علي مصطفى المصراتي: أعلام من طرابلس، ص: 199, 200.

[2] هو عبد القادر الجيلاني يكنى بأبي محمد وأبي الفضل لكنه كان معروفا بالشرقي الإسحاقي كان من رفاق ملك المغرب محمد بن عبد الله في رحلته للحج حيث أمره بعد عودتهم لبلدهم بتدوين هذه الرحلة. ينظر: عبد الهادي التازي، أمير مغربي في طرابلس 1143هـ = 1731م أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي، د ط، د ت، ص: 103.

[3] ينظر: عبد الحميد عبد الله الهرامة، فصول من تاريخ ليبيا الثقافي، ص: 152, وما بعدها.

وفي إحدى مقولاته ما يدل على أنه تجاوز سن الخمسين إذ يقول: "لي معرفة بسبعين حكمة وعمري الآن ما ينيف عن الخمسين سنة" [1]، ولو وصل إلينا تاريخ هذه العبارة لما بقي على الأقل تاريخ ميلاده مجهولا، ومهما يكن فيظل هناك شيء واحد مؤكد وهو أن الشاعر أحمد بن عبد الدائم الأنصاري من شعراء القرن الثاني عشر الهجري والثامن عشر الميلادي.

أما إذا بحثنا عما يتمتع به الشاعر من صفات فسنجد أهمها فيما نقله أحمد الفقيه عن كتاب الإرشاد حيث يقول: " كان يُضرب به المثل في ظرفه وفصاحته، وصلته لأقاربه والفقراء. كان حافظا، ذا معرفة بالتواريخ الإسلامية والأخبار الملوكية، غاية في الذكاء والفطنة والعقل الراجح."[2]

من الواضح أنه كان يتمتع بقدرات عالية، فقد كان حكيما في زمن لم يُقدر فيه أحد حكمته، إذ ظلت اختراعاته وعصارة تجاربه حبيسة في صدره لتسبب له حسرة تظهر في قوله: " لي معرفة بسبعين حكمة، وعمري الآن ما ينيف عن الخمسين سنة ولم يسألني أحد من أهالي طرابلس عن واحدة منها. ومن جملتها استخراج الماء من الأرض حتى يصعد إلى قمتها بغير مشقة"[3].

ومما اتصف به أيضًا جمال الخط وجودة الشعر، إذ نجد صاحب الإرشاد يقول: "وكان له التقدم في حسن الخط، وقد انفرد فيه بطريقة اخترعها لم يكن أحسن منها قط في أنواع الخطوط المعهودة. وقد كان شاعراً بليغاً حسن الطريقة في شعره".[4]

---

[1] الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، ص: 80. وأيضا: محمد بن خليل ابن غلبون، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، ص: 14.

[2] نفسه، ص: 14.

[3] الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، ص: 80

[4] محمد بن خليل ابن غلبون، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، ص: 14.

شعره:

من خلال ما وصلنا عن أحمد بن عبد الدائم الأنصاري نعرف أن الذي وصل ما هو إلا قطرة من بحر، فمن الواضح أن هذا الشاعر قد خلّف لنا نتاجا ضخما كان مصيره الضياع، سواء على المستوى الأدبي أم العقلي، لعل أبرز مثال على ذلك " أن أحمد الفقيه حسن الحفيد أخذ من كتاب الأجداد للعسوس أبياتًا منتخبة من قصيدة قال إنها تبلغ حوالي مائة بيت لم يصلنا منها سوى خمسة وعشرين بيتًا. " [1]

مناسبة القصيدة:

في سنة 1140هـ 1728م، شنّ الأسطول الفرنسي هجوما على مدينة طرابلس[2]، فأنشأ الشاعر هذه القصيدة للاستنجاد بالخليفة العثماني في اسطنبول ليساعدهم في رد هذا الهجوم، وقد نُشر من هذه القصيدة خمسة أبيات في كتاب التذكار ضمن ترجمة الشاعر التي أرسلها أحمد الفقيه حسن للشيخ الطاهر الزاوي وأشار إلى أنها طويلة[3]، ثم نشرت تتمة هذه الأبيات التي نسخها أحمد الفقيه في البحث الذي نشره الدكتور عبد الحميد الهرامة في مجلة الناشر العربي بعد أن عثر على تلك النسخة كاملة ضمن مكتبة أحمد الفقيه التي ضُمت إلى مركز الجهاد ليصبح عدد أبيات هذه القصيدة أربعة وعشرين بيتا.

---

[1] عبد الحميد عبد الله الهرامة، فصول من تاريخ ليبيا الثقافي، ص: 154, 155.

[2] ينظر: حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، ت: محمد الأسطى وعمار جحيدر، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط 2, 2001، ج 1، ص: 659. وينظر أيضا: شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، تر: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط 3, 1994م، ص: 289, وما بعدها.

[3] ينظر: محمد بن خليل ابن غلبون، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، ص: 14.

النص:[1]

يـــا حـــامِيَ الإسْـــلامِ يـــا بَحْـــرَ الْوفَـــا يـــا مَـــنْ علـــى الأمْـــلاكِ شَـــأْنُكَ يَعْتَلـــي
لا زِلْـــتَ كَهْـــفَ الْخَـــائِفِينَ مَلاذَهُـــمْ غَيْـــثَ اللّهُـــوفِ أَتَـــى بِوَقْـــتٍ مُمَحَّـــلِ
شِـــيَدَتْ منـــاراتُ الشّـــريعَةِ منـــهُ إذْ تَسْـــمُو علـــى هـــامِ السّـــماكِ الأعْـــزَلِ
وإذا الْمُلُـــوكُ تَحَجَّبَـــتْ عَـــنْ وافِـــدٍ فَهْـــوَ الّـــذِي عَنْـــهُ الْمَكَـــارِمُ تَنْجَلِـــي
يـــا واحِـــداً مـــا فِـــي الْبَسِـــيطَةِ مِثْلُـــهُ مَلِـــكُ الْمُلُـــوكِ بِتَاجِـــه المُتَكَلِّـــلِ
فاسْـــمَعْ لقصَـــةِ مـــنْ أتـــاكَ بِحُرْقَـــةٍ خُـــذْ ثَـــأْرَهُ مِـــنْ كُـــلِّ خَصْـــمٍ مُبْطِـــلِ
أوَ مَـــا يَغِيظُـــك حـــالُ قَلْعَتِـــك الّتـــي فَـــازتْ بِفَتْحِـــك فـــي الزَّمـــانِ الأوَلِ
ذ
يـــا سَـــيّدي فـــانْظُرْ لحالَـــةِ ضَـــعْفِنَا مِـــنْ شِـــيمَةِ الْأَخْيَـــارِ أنْ لا تَبْتَلِـــي
إنّـــا لَنَرْجُـــو مِنْـــكَ أَخْـــذَ الثّـــأْرِ مِـــنْ شَـــعْبِ الْفِرْنسِـــيسَ اللّئـــيمِ الأرْذَلِ
جَـــاءوا علـــى الصُّـــلْحِ الْقَـــدِيمِ وأَنْكَـــرُوا مَـــا أكْمَلَتْـــهُ نُفُوسُـــهُمْ بِتَحَيُّـــلِ
فِـــي يَـــوْمِ عِيـــدِ الْمُسْـــلِمِينَ وَنَحْـــرِهِمْ مُتَـــرَقِّبِينَ بِفُرْصَـــةٍ لِلْمَـــدْخَلِ
عـــامَ أَرْبَعِـــينَ مَضَـــتْ لِهِجْـــرةِ أَحْمَـــدٍ مِـــنْ بعـــدِ مَـــا مائـــةٍ وألـــفٍ كُمَّـــلِ
خُـــذْ ثَأْرنـــا يَـــا ســـيّدي مِـــن كَـــافِرٍ رامَ الْـــبِلادَ، أَذِقْـــهُ طَعْـــمَ الْحَنْظَـــلِ
دارُ الرّبـــاطِ فيـــا لهَـــا مـــنْ بَلْـــدَةٍ دارُ الْجِهـــادِ شـــكَتْ لِمَـــوْلًى أَعْـــدَلِ
تَـــاللهِ لـــوْ ظَفِـــرَتْ بِهـــا الْكفـــارُ لَـــمْ تَطْمَـــعْ بِمِصْـــرَ ولا الشّـــامِ ومُوصِـــلِ
أَدْرِكْ بـــلادَك (باءشـــاهم) إنَهـــا حَزَنَـــتْ لفِعْـــلِ الْكـــافِرِ الْمُتَحَيّـــلِ
للهِ كـــمْ مـــن كُربـــةٍ فرَّجْتَهـــا يَـــوْمَ الْـــوَغَى أَدْرِكْ بـــلادَكَ واعْجَـــلِ
أهـــلُ الْولايـــةِ كلّهـــا وَقَفُـــوا علـــى قَـــدَمِ الْجِهـــادِ ونـــارُ حَـــرْبٍ تَصْـــطَلي
مُتَـــرقّبينَ نُـــزُولَهُمْ مِـــنْ سُـــفُنِهِمْ كَتَرقّـــبِ البـــازِيّ طعْـــمَ الْمأكَـــلِ
لَكِـــن أعـــداءُ الإلَـــهِ تَحَصَّـــنوا بِسَـــفَائِنٍ بَعُـــدَتْ كَشَـــامِخِ أَجْبَـــلِ

[1] عبد الحميد عبد الله الهرامة، فصول من تاريخ ليبيا الثقافي، ص: 163, 164.

يَـــا لَيـــتَ تـــمَّ لنـــا الوُصُـــولُ إلـــيهمُ عنـــد التّلاقِـــي كُـــلُّ هَـــمّ يَنْجَلـــي
اللهُ أكْبَـــرُ مـــا وجَـــدْنا حِيلَـــةً تشْـــفِي غَليـــلَ تَحَمّـــسٍ لِلْجَحْفَـــلِ
اللهُ أكبـــرُ مـــا وجَـــدْنا مَـــدْفَعاً يَـــرْمِيهمُ عـــنْ بُعْـــدِ سَـــبْعَةِ أمْيَـــلِ
يـــا صـــاحبَ الـــنّفْسِ الْكَرِيمَـــةِ كُـــنْ لنَـــا عَوْنـــاً يَخصُّـــكَ رَبُّنـــا بِتَجَمُّـــلِ

الشرح والتحليل:

أولاً–التمجيد والثناء:

يـــا حـــامِيَ الإسْـــلامِ يـــا بَحْـــرَ الْوفَـــا يـــا مَـــنْ علـــى الأمْـــلاكِ شَـــأْنُكَ يَعْتَلـــي

افتتح الشاعر قصيدته بأبيات في مدح الخليفة العثماني والثناء عليه، ففي قوله: (يا حامي الإسلام)، نداء وثناء على الخليفة بصفته الحامي لدين الإسلام والمدافع عن قضايا الأمة الإسلامية، وفي قوله: (يا بحر الوفا) تشبيه له بالبحر في سعة عطائه ووفائه وصدقه، وفي عجز البيت يقول له يا من ترتفع مكانتك وقدرك فوق كل الملوك والحكام.

لا زِلْـــتَ كَهْـــفَ الْخَـــائِفِينَ مَلاذَهُـــمْ غَيْـــثَ اللّهُـــوفِ أتَـــى بِوَقْـــتٍ مُمَحَّـــلِ

في هذا البيت صورة بلاغية عميقة تنتمي إلى الشعر العربي الكلاسيكي، اللهوف الذي يشتعل قلبه حزنا وشوقا[1] أي الشخص البائس المتلهف للغوث، ممحل سنة قحط وجفاف لا ماء فيها ولا خير[2]، ويحمل صدر البيت صورة تتناسب مع غرض القصيدة، فنجد الشاعر يشبه الخليفة بالكهف وهو رمز للأمان والحماية من الأخطار، فكما أن الخائف يلجأ إلى الكهف ليحتمي من الأعداء أو العواصف، فكذلك الناس يلجؤون إلى الخليفة طلبًا للحماية والأمان.

[1] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر–بيروت، ط 3، 1414هـ، ج: 9، ص: 322.
[2] ينظر: نفسه، ج: 11، ص: 617.

أما عجز البيت فيحمل صورة تعزز معنى الأولى، حيث يشبه الخليفة بالغيث الذي ينزل وقت القحط والجفاف، فيحيي الأرض بعد موتها وينهي معاناة الناس المتلهفين للخلاص هذا التشبيه يدل على أن عطاءه وإحسانه يأتي في أمس الحاجة إليه مما يضاعف قيمته وأثره.

وإذا نظرنا إلى الجانب البلاغي في البيت سنجده يزخر بأساليب بلاغية متنوعة بداية بالتشبيه حين شبه الخليفة بالكهف والغيث، مما يجعل فضائله محسوسة وواضحة، وأيضا هناك الطباق بين غيث (الخير العميم) وممحل (الشدة والجدب)، مما يبرز عظمة الإحسان وقيمته، وأيضا أسلوب الدعاء الذي افتتح به (لا زلت) يعطي لهجة التبجيل والتعظيم.

شِـــيَدَتْ منـــاراتُ الشّـــريعَةِ منـــهُ إذْ تَسْـــمُو علـــى هـــامِ السّـــماكِ الأعْـــزَلِ

ينتقل الشاعر في هذا البيت من جانب الحماية والإغاثة إلى جانب العلم والشرع والسيادة، فيصور لنا الخليفة على أنه حامي الدين ومجدد قوانينه حيث جعل معالم الشريعة الإسلامية بارزة وثابتة كالمنارات الشاهقة.

وهو بيت زاخر بالصور البلاغية، ففي صدر البيت هناك صورة تشبيهية حيث اعتمد على التشبيه البليغ لإبرازها، فالشاعر يشبه قوانين الشرع وأحكامه بالمنارات الشاهقة التي يهتدي بها المسافرون في الظلام والخليفة هو من شيّد هذه المنارات أي أنه قائم على رعاية الدين وعلومه وتطبيق الشريعة.

وفي عجز البيت هناك مبالغة شديدة في علو هذه المنارات والمقصود هو علو مكانة الشريعة تحت رعاية هذا الخليفة، فالشاعر يقول: إن هذه المنارات لا ترتفع فقط بل إنها تعلو على أعلى النجوم في السماء وأشهرها (السماك الأعزل)

وهو نجم معروف بشدة لمعانه وعلوه[1]، وهذا يعني أن الشريعة أصبحت في عهده في أعلى مراتب القوة والوضوح والهداية تفوق كل شيء في علوّها وشرفها.

وإذا الْمُلُـــوكُ تَحَجَّبَـــتْ عَـــنْ وافِـــدٍ فَهْـــوَ الّـــذِي عَنْـــهُ الْمَكَـــارِمُ تَنْجَلِـــي

الشاعر هنا ينتقل من وصف الخليفة إلى وضعه في مرتبة تفوق كل الملوك مما يبرز سلطته ويمنحها هالة من القداسة والتمايز فهذا البيت يضع الخليفة في مركز العالم حيث يكون بلاطه مقصد القاصدين، وهو منبع الفضائل بينما الآخرون (الملوك) هم هامشيون ومتوارون، وقد استعان الشاعر ليرسخ هذه الأفكار بعدة صيغ بلاغية، حيث نجد المطابقة بين فعل الملوك (تحجبت) وفعل الخليفة (تنجلي) وهي مطابقة تعلي من شأن الخليفة بوضعه في موضع النقيض لباقي الملوك.

وفي (تحجبت وتنجلي) أيضًا استعارتين قويتين، فالحجاب يستعار للاختباء والابتعاد والمنع، بينما الانجلاء يستعار للكرم والجود والسهولة في الوصول، فالخليفة هنا مصدر للفضائل التي تتجلى وتظهر منه كما تظهر الشمس من السحب.

وأخيرا نجد أيضا التفخيم والتعظيم في بناء الجملة نفسه (فهو الذي عنه...) وهو أسلوب يعطي له هيبة وقدرا عظيما مما يخلق أسلوبا تمجيديا قوياً.

يـــا واحِـــداً مـــا فِـــي الْبَسِـــيطَةِ مِثْلُـــهُ مَلِـــكُ الْمُلُـــوكِ بِتَاجِـــهِ المُتَكَلِّـــلِ

يخاطب الخليفة هنا قائلا: يا أيها الشخص الفريد الذي لا يوجد في العالم من يساويه أو يعادله أيها الملك المتوج بتاجه العظيم المرصع بالجواهر مما يزيده بهاءً وعظمة.

[1] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج: 11، ص: 442.

وقد افتتح البيت بالنداء بالياء وهو نداء مباشر يخلق علاقة حميمة ومباشرة مع الممدوح مما يجعل المدح أكثر تأثيراً وقربا إلى القلب، كما أن الشاعر استخدم عدة أساليب للمبالغة لإظهار منزلة الخليفة كقوله: (واحداً ما في البسيطة مثله)، إذ ينفي وجود أي نظير له على وجه الأرض كلها، وأيضا: (ملك الملوك) هذه الصيغة هي ذروة المبالغة في وصف القوة والملكية فهو ليس ملكا عاديا بل ملك كل الملوك.

وأيضا نجد الكناية التي تظهر في قوله: (بتاجه المتكلل) فالتاج المتكلل ليس مجرد وصف حرفي للزينة بل هو كناية عن العلو والمجد والسلطان المطلق، فالتاج رمز للملك وتكلله بالجواهر كناية عن اكتمال هذا الملك وعلو درجته وثباته، فالبيت في العموم يخلق صورة ذهنية قوية للممدوح كشخصية أسطورية جليلة جالسا على عرشه وعلى رأسه تاج من الذهب يلمع بشدة بينما تخضع له جميع الممالك والملوك إنها صورة مليئة بالبهاء والعظمة.

فاسْـــمَعْ لقصَـــةِ مـــنْ أتـــاكَ بِحُرْقَـــةٍ خُـــذْ ثَـــأْرَهُ مِـــنْ كُـــلِّ خَصْـــمٍ مُبْطِـــلِ

ينتقل الشاعر هنا من التمجيد والثناء إلى الطلب فكلمة (فاسمع) هي فعل أمر فيه توقير واحترام يدعوه من خلاله إلى الاستماع لشكواه، ثم يصف نفسه بقوله: (من أتاك بحرقة) أي أنه أتى إلى الخليفة وبداخله حرقة والحرقة في هذا البيت هي كلمة مفصلية وتعني ألم القلب واحتراقه من شدة الظلم أو الحزن[1]، وهو وصف يهدف إلى استثارة عاطفة الشفقة والعدالة عند الخليفة ويصور الشاعر نفسه كمظلوم متألم جاء طالبًا النجدة، ثم يبدأ في التمهيد لطلبه بقوله: (خذ ثأره) التي تعني انتقم له، وهي صيغة قوية توحي بأن الخليفة ليس فقط قاضيا، بل منتقم وقاهر للأعداء،

[1] ينظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط 1، 2008م، ج: 1، ص: 478.

ثم يصف العدو بقوله: (المبطل) أي الكاذب الظالم الباطل الذي لا حق له[1]، وهو توصيف يضع القضية في إطارها الواضح فالشاعر هو صاحب الحق المطلق وخصومه هم أهل الباطل المطلق، مما يسهل على الخليفة اتخاذ قرار نصرته.

ثانيًا–وصف العدوان والمقاومة:

أوَ مَـــا يَغِيظُـــك حـــالُ قَلْعَتِـــك الّتـــي فَـــازتْ بِفَتْحِـــك فـــي الزَّمـــانِ الأوَلِ ذ

يحاول الشاعر هنا استثارة همة الخليفة من خلال تذكيره بالماضي المجيد الذي سطرته قلعة طرابلس ضد أعداء الدولة يقول: (أو ما يغيظك) استفهام إنكاري يقصد منه تحفيز الخليفة، أي ألا يغضبك ما حدث؟ وفي قوله: (قلعتك)، إشارة إلى أن طرابلس ولاية من ولاياتك التي تشملها حمايتك، أما قوله: (فازت بفتحك في الزمان الأول) تذكير بانتصارات الخليفة السابقة التي حررت هذه المنطقة وسطرت مجدا للإسلام وهذا يعتبر أسلوبا بلاغيا يستحضر الأمجاد التاريخية لدفع الخليفة للعمل.

يـــا سَـــيّدي فـــانْظُرْ لحالَـــةِ ضَـــعْفِنَا مِـــنْ شِـــيمَةِ الْأَخْيَـــارِ أنْ لا تَبْتَلِـــي

نبرة التذمر والاستعطاف ظاهرة بشدة في هذا البيت خاصة في قوله: (يا سيدي) فالشاعر يحاول التأثير في الخليفة ليحفزه للنظر في حالتهم وفي عجز البيت نوع من الإطراء حيث يذكره بأنه من الأخيار الذين من أبرز شماتهم أنهم لا يخيبون من يلتجئ إليهم، وقد خدم هذا المعنى أسلوب النفي ب (لا) في (أن لا تبتلى)، نفي البلوى (الإعراض) عن الأخيار، أي أنهم لا يعرضون عن طالب المساعدة.

[1] ينظر: نفسه، ج: 1، ص: 218.

إنّـــا لَنَرْجُـــو مِنْـــكَ أَخْـــذَ الثّـــأْرِ مِـــنْ شَـــعْبِ الْفِرْنسِـــيسَ اللّئـــيمِ الأَرْذَلِ

يدخل الشاعر هنا في صلب الموضوع وهو الاستنجاد والشكوى للخليفة العثماني من العدو الفرنسي الذي ألحق الضرر بطرابلس، حيث يقول له: (إنا لنرجو منك)، أي نأمل ونتوقع منك أيها الخليفة أن تنتقم لنا وتقوم بأخذ حقنا من العدو الفرنسي الذي وصفه بأبشع الأوصاف (اللئيم الأرذل)، فاللئيم من لؤم الطباع وخستها وهو الذي لا خير فيه[1]، والأرذل من رذل أي الحقير والدنيء والخسيس[2].

جَـــاءوا علـــى الصُّـــلْحِ الْقَـــدِيمِ وأَنْكَـــرُوا مَـــا أَكْمَلَتْـــهُ نُفُوسُـــهُمْ بِتَحَيُّـــلِ

يتهم الشاعر العدو الفرنسي بالخيانة والنفاق أي أنهم دخلوا تحت ستار المعاهدات والاتفاقيات السلمية، (الصلح القديم)، ولكنهم ما إن ثبتوا أقدامهم حتى أنكروا هذه الاتفاقيات ونقضوها مظهرين حقيقتهم، ويوضح الشاعر هنا أن هذه الاتفاقيات من الأساس لم تكن مبنية على نية صادقة بل كانت مكيدة دبرها العدو بخبث ومكر (بتحيل) لتحقيق أطماعه.

فهذه الأبيات تقدم المبرر الأخلاقي والقانوني لأخذ الثأر الذي طلبه الشاعر في الأبيات السابقة فليس الانتصار مطلوبا فقط بسبب الضعف والذل بل لأنه انتصار على غادر غدر ونقض العهود وهذا يعطي الشرعية الكاملة لرد الفعل ويجعل المحتل في موقف المجرم الذي يستحق أقسى العقوبات.

فِـــي يَـــوْمِ عِيـــدِ الْمُسْـــلِمِينَ وَنَحْـــرِهِمْ مُتَـــــرَقِّبِينَ بِفُرْصَـــــةٍ لِلْمَـــــدْخَلِ

[1] ينظر: أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، الغريبين في القرآن والحديث، ت: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط1، 1999م، ج: 1، ص: 150.

[2] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج: 11، ص: 280.

يصور هذا البيت ذروة الغدر والخسة الفرنسية لقد اختار المحتل توقيتا مقدسا عند المسلمين وهو يوم عيد الأضحى حيث يكون الناس في حالة من الطمأنينة والفرح والانشغال بالعبادة وذبح الأضاحي لينفذوا هجومهم الغادر.

وهذا البيت هو الدليل العلمي على اتهامات الشاعر السابقة فقد اتهمهم بالغدر (وأنكروا... بتحيل)، وهذا البيت هو تجسيد وتوقيت لذلك الغدر، وأيضا فيه تبرير لطلب الأخذ بالثأر فالعدو انتهك حرمة العيد وغدر في أقدس الأوقات، فالملاحظ هنا أن الشاعر اعتمد في بناءه للنص على أسلوب السرد المأساوي المتكامل.

عـــامَ أرْبَعـــينَ مَضَـــتْ لِهِجْـــرةِ أحْمِـــدٍ مِـــنْ بعـــدِ مَـــا مائـــةٍ وألـــفٍ كُمَّـــلِ

يحدد الشاعر زمن الهجوم الغادر على طرابلس بالعام الهجري وهو 1140هـ الذي يوافقه تقريبا 1727–1728م، وهو التاريخ الذي يتطابق تماما مع الهجمات البحرية الفرنسية على طرابلس التي وقعت في تلك الفترة.

وقد حرص الشاعر على تدوين التاريخ بدقة شديدة لأنه يدرك أن هذه القصيدة وثيقة تاريخية تهدف إلى توثيق الجريمة البشعة بشكل لا يدع مجالاً للنسيان أو الإنكار.

خُـــذْ ثَأْرنـــا يَـــا ســـيّدي مِـــن كَـــافِرٍ رامَ الْـــبِلادَ, أَذِقْـــهُ طَعْـــمَ الْحَنْظَـــلِ

يتكرر النداء في هذا البيت وهو نداء مباشر ومُلح يتكرر للتأكيد على طلب الانتقام من الكافر وهو تصعيد في الوصف من (اللئيم–الأرذل) إلى (كافر) مما يضفي على الصراع بعدا عقدياً ودينياً إلى جانب البعد السياسي والوطني، فهذا الكافر الذي سعى إلى السيطرة على البلاد انتقم منه انتقاماً شديدا مريرا كمرارة الحنظل.

وقد زين هذه الصورة بالاستعارة المكنية في قوله: (أدقه طعم الحنظل)، حيث شبه العقاب الذي يجب أن يذيقهم إياه بطعم الحنظل المعروف بشدة مرارته، والغرض منها هو المبالغة في تصوير شدة العقاب المطلوب وإيصال فكرة أن الانتقام يجب أن يكون شديدًا ومؤلمًا.

دارُ الرّبـــاطِ فيـــا لهَـــا مـــنْ بَلْـــدَةٍ دارُ الْجِهـــادِ شـــكَتْ لِمَـــوْلًى أَعْـــدَلِ

يقدم هذا البيت إطاراً مكانيًا وأخلاقيا للقصيدة مما يعمق من مأساوية الحدث وعدالة القضية، فقوله: (دار الرباط) الدار تعني الموطن أو المكان والرباط لها معنيين رئيسيان في هذا السياق:

1. المعنى العسكري: الثغر أو الحصن الذي يرابط فيه المجاهدون للدفاع عن حدود الدولة الإسلامية.
2. المعنى الصوفي: مكان لعبادة المتصوفين ومرابطة ذكر الله فيه.

لكن السياق العسكري هو الأقرب في هذا البيت، فالشاعر يصف طرابلس بأنها معقل للجهاد والمرابطة في سبيل الله وليست مجرد مدينة عادية، ثم ينقل عن هذه المدينة العظيمة أنها اشتكت بسبب ما لاقته من ظلم وعدوان إلى المولى العادل طالبةً نصرته وانتقامه.

ومما أضفى على هذا البيت جمالية أسلوب التعجب (فيا لها من بلدة) حيث يظهر هذا الأسلوب إعجاب الشاعر الشديد بهذه المدينة وتقديره لمكانتها، وهذا ما يجعل الاعتداء عليها ليس مجرد عدوان بل هو اعتداء سافر على رمز من رموز العزة والإيمان.

تَـــاللهِ لـــوْ ظَفِـــرَتْ بِهـــا الْكفـــارُ لَـــمْ تَطْمَـــعْ بِمِصْـــرَ ولا الشّـــامِ ومُوصِـــلِ

افتتح الشاعر هذا البيت بالقسم بـ(تالله) هو قسم بالله –عز وجل–مما يعطي الكلام قوة وجدية ويظهر مدى أهمية وخطورة الموقف وأن ما يقوله ليس

مجرد كلام عابر بل هو عهد ووعيد، وقد أتى بعد القسم الشرط أو الفرضية وهي (لو ظفرت بها الكفار) فالهاء في (بها) ضمير يعود على الأسطول الفرنسي أو قوات العدو، أي لو أنني انتصرت عليها أو هزمتها أو قضيت عليها بشكل حاسم، فقد استخدم أداة الشرط (لو) الذي يفيد امتناع الشرط لامتناع جوابه، أي أن تحقيق هذا النصر الصعب سيمنع بشكل قاطع أي طمع في المستقبل، أما الجواب والنتيجة (لم تطمع بمصر ولا الشام وموصل)، فالنفي القاطع لأي أمل أو جرأة الفعل (طمع) الذي يعني: الحرص على الحصول على شيء والرغبة فيه[1]، وهو هنا بمعنى التطلع العدواني للاحتلال، ثم يعدد له أهم الدول التي تعتبر ذات مكانة استراتيجية للحكم العثماني وهي: (مصر والشام والموصل)، فهذه الدول مجتمعة تعتبر مركز القوة في الدولة العثمانية آنذاك.

فالشاعر يريد أن يقول والله العظيم يا مولاي، لو أنني استطعت أن أحقق نصرًا حاسمًا على هذا الأسطول الفرنسي الغازي، وأقضي عليه لجعلت هذا النصر عبرةً لهم، ولن يتجرؤوا بعدها أبدا على أن يمدوا أبصارهم طمعا نحو ولاياتكم المهمة كمصر والشام والموصل.

يحتوي هذا البيت على عدة دلالات ورسائل تمثل صلب موضوع القصيدة لعل أهمها:

1. الاستنجاد والتحريض: فالغرض الأساسي من القصيدة هو حث السلطان العثماني وتحريضه على القيام بعمل عسكري حاسم ضد الفرنسيين، والشاعر هنا يصور نفسه وكأنه على استعداد لفعل ذلك بنفسه لو استطاع، ويؤكد ذلك قوله: (لو ظفرت بها)؛ لكنه يوجه نداءه للخليفة الذي

[1] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج: 8، ص: 240.

يملك القوة والجيش للقيام بهذا العمل أو تزويدهم بما يساعدهم على القيام به.

2. إظهار العواقب: يوضح للخليفة أن ترك هذا العدوان دون ردع حقيقي، سيشجع الفرنسيين على مهاجمة أراضي أكثر أهمية في المستقبل، وبالتالي فإن ضربهم الآن هو حماية لتلك الأراضي لاحقا.
3. الوعي الاستراتيجي: يظهر الشاعر وعيا عميقا بالجغرافيا السياسية حيث يدرك أن أطماع فرنسا لا تقتصر على طرابلس، بل هي خطوة في طريق أكبر يستهدف قلب العالم الإسلامي.

أَدْرِكْ بـــــلادَك (باءشـــــاهم) إنَهَـــــا حَزَنَـــــتْ لفِعْـــلِ الْكـــافِرِ الْمُتَحَيّـــلِ

يقول الشاعر للخليفة بلهجة مليئة بالألم والاستعطاف، أسرع وأنقذ بلادك (طرابلس) بقوة جيشك، فالحزن تسرب إليها بسبب وحشية الهجوم المخادع الذي شنه العدو الماكر.

نلاحظ هنا كيف تحول الخطاب من التباكي والتهديد في البيت السابق إلى نداء استغاثة مباشر وعاجل (أدرك)، وأيضا التأكيد على التبعية بتكرار كلمة (بلادك) فيها تذكير للخليفة بأن هذه الأرض تحت حمايته، ثم راح يصف المعاناة مستخدما كلمة (حزنت) لوصف الأرض التي شخصها ليعطي بعدا عاطفيا مؤثرا، فالأرض نفسها تشعر بالحزن والذل فما بالك بأهلها؟ وهناك أيضاً وصف للعدو بـ(المتحيل) إشارة إلى الحيلة التي اعتمد عليها العدو في هجومه فهو صاحب مكر وخديعة.

للهِ كـــــمْ مـــــن كُربـــــةٍ فرَّجْتَهـــــا يَـــــوْمَ الْـــــوَغَى أَدْرِكْ بـــــلادَكَ واعْجَـــــلِ

يريد أن يقول الشاعر للخليفة هنا ما أكثر الأزمات التي حللتها أنت وجيوشك في ساحات الحرب فيما مضى، وها هي ولايتك اليوم تواجه أزمة جديدة وتنتظر منك المبادرة السريعة لإنقاذها قبل أن يستفحل الأمر أكثر.

أهم الملاحظات التي يمكن أن نستشفها من هذا البيت أنه يتمم الأبيات السابقة، إذ نجده يرتكز هنا على أسلوب الاستدراج والتحفيز، فقد بدأه باستحضار انتصارات الخليفة السابقة حين قال: (كم من كربة فرجتها) وهذا الأسلوب تكمن خلفه عدة أهداف لعل أهمها: رفع المعنويات من خلال تذكير الخليفة بقوته وقدرته على الانتصار، وتحفيز غيرته على ولايته فإذا كان قادرا على حل كل تلك المشاكل في الماضي فمن العيب أن يتخاذل اليوم.

وقد اعتمد أيضا على أسلوب التكرار والتأكيد حيث كرر نداء الاستغاثة (أدرك بلادك) في هذا البيت والبيت السابق تأكيدا لحالة الطوارئ القصوى وإظهار مدى يأس الشاعر وأهل بلاده، وكذلك نجد عنصر الاستعجال (واعجل) فهذه الكلمة المفصلية هي جوهر الرسالة، لما تعكسه من خوف حقيقي من أن أي تأخير قد يؤدي إلى دمار لا يمكن إصلاحه.

أما البعد العاطفي فالخطاب موجه للخليفة بطريقة تجمع بين الإجلال باستحضار انتصاراته والالتجاء إليه كملجأ أخير وحامٍ.

أهـــلُ الْولايـــةِ كلّهـــا وَقَفُـــوا علـــى قَـــدَمِ الْجِهـــادِ ونـــارُ حَـــرْبٍ تَصْـــطَلي

يريد الشاعر من خلال هذا البيت أن يقول إن كل أهل ولاية طرابلس قد استعدوا واستنفروا للجهاد والقتال، وهم دائما على أهبة الاستعداد له، وهم الآن يحترقون ويتألمون انتظارا للحرب الضاربة، فالشاعر يريد إظهار البطولة والتضحية، حيث نجده يخبر الخليفة أن شعبه ليس ضعيفا ولا مستسلما، بل هو شعب مجاهد صبور يقف ثابتا في وجه العدو ويتحمل أهوال الحروب.

ويريد أيضا إيصال رسالة مفادها أن البلاد تدافع عن نفسها ببسالة؛ لكنها تطلب الدعم من مركز الخلافة وأيضاً يجمع الشاعر بين الفخر والاستعطاف، الفخر بأهل البلاد وثباتهم، ولكن في نفس الوقت استعطاف للخليفة بوصف معاناتهم لدفعه للتحرك.

مُتَـــــرقّبينَ نُـــــزُولَهُمْ مِـــــنْ سُـــــفُنِهِمْ كَتَرقّـــــبِ البـــــازيّ طعْـــــمَ الْمأكَـــــلِ

يقول هنا إن أهل الولاية يقفون في حالة ترقب شديد لنزول الجنود الفرنسيين من سفنهم مثل الترصد والصبر الذي يتحلى به طائر البازي وهو يتربص بفريسته وينتظر اللحظة المناسبة للانقضاض عليها.

وقد امتاز هذا البيت ببراعة التشبيه فهو تشبيه في غاية الجمال والبلاغة؛ لأنه يحمل في طياته عدة طبقات من المعنى:

1. الصبر والتربص فكما أن البازي يصبر ولا يهاجم إلا في التوقيت المناسب فالمجاهدون كذلك لا يهاجمون السفن في البحر لأن تفوق العدو واضح، لذلك ينتظرون نزولهم إلى البر حيث يمكن مجابهتهم.
2. الشراسة والقتالية، فالبازي طائر مفترس لا يتردد، والتشبيه يوحي بأن المجاهدين ليسوا في موقف دفاعي ضعيف بل هم في موقف هجومي متحفز ينتظرون إلى العدو ليس كتهديد فقط بل كفريسة أو غنيمة منتظرة.
3. الثقة والقوة فالتشبيه يشير إلى ثقة المجاهدين بقدرتهم على الانقضاض ومحاصرة العدو بمجرد نزوله إلى أرضهم.

هذه الصورة هي أقوى رسالة يمكن أن توجه للخليفة فالشاعر يقول له من خلالها أرسل لنا المساعدة وستجدنا كالصقور الجارحة في انتظار الانقضاض على الفريسة، وسنحقق النصر معا.

ثالثا–التفاوت العسكري والتحدي:

لَكِـــن أعـــداءُ الإلَـــهِ تَحَصَّـــنوا بِسَـــفَائِنِ بَعُـــدَتْ كَشَـــامِخِ أَجْبَـــلِ

يستدرك الشاعر هنا بـ(لكن) التي تفيد بأن ما بعدها على عكس ما قبلها، وهي هنا تستدرك على الصورة القوية للمجاهدين في البيت السابق؛ لتوضيح سبب عدم تحقيق النصر رغم استعدادهم، فمعنى هذا البيت أن أهل البلاد قد استعدوا لهم لكن أعداء الله الفرنسيين قد تحصنوا داخل سفن حربية ضخمة جدا ومرتفعة كأعلى القمم الجبلية الشاهقة، مما يجعل الوصول إليهم صعبا، وفي إظهار عظمة العدو هذه عن طريق وصف سفنهم، ليس الهدف منه إرهاب الخليفة، بل لإقناعه بأن المواجهة تستحق وأن النصر على خصم بهذه القوة سيكون مجيدا.

وفي البيت تكامل للصورة مع البيت السابق الذي صور فيه المجاهدون كبازي يتربص وهذا البيت يوضح أن الفريسة ليست سهلة، بل هي محصنة داخل حصن متحرك وضخم.

يَـــا لَيـــتَ تـــمَّ لنـــا الوُصُـــولُ إلـــيهمُ عنـــد التّلاقِـــي كُـــلُّ هَـــمّ يَنْجَلـــي

اعتمد الشاعر في هذا البيت على أسلوب التمني بـ(ليت) التي تستخدم للتفجع والحنين إلى شيء بعيد المنال أو صعب التحقق، وهي تعبر هنا عن حزن وألم مختلطين بأمل، فالمعنى يا ليتنا استطعنا أن نصل إليهم ونتواجه معهم وجها لوجه، فلو حصل ذلك لانكشف هذا الغم والكرب الذي نحن فيه، وهذا التمني هو في الحقيقة نداء ضمني للسلطان: نحن بحاجة إلى وسيلة وهي أسطول حربي يمكننا من تحقيق هذه الأمنية أي الوصول إليهم في البحر حيث يتحصنون.

اللهُ أكْبَـــرُ مـــا وجَـــدْنا حِيلَـــةً تشْـــفِي غَليـــلَ تَحَمّـــسٍ لِلْجَحْفَـــلِ

ابتدأ الشاعر البيت بذكر الله تعظيما للشأن وتفجيرا للألم، وكأن الشاعر يرفع شكواه إلى الله قبل الخليفة، وهي صيغة تعبير عن الدهشة والعجز مع التوسل

بالله، فالمعنى الله أكبر لم نجد أي وسيلة أو خطة ناجحة نطفئ بها غيظنا وحنقنا على العدو، وتشحن حماسنا وتحفزنا لمواجهة جحافلهم.

اللهُ أكبـــرُ مـــا وجَـــدْنا مَـــدْفَعاً يَـــرْمِيهمُ عـــنْ بُعْـــدِ سَـــبْعَةِ أمْيَـــلِ

في هذا البيت اعتراف صريح من الشاعر بالعجز التقني والعسكري، فالمدافع هي التقنية المتطورة في ذلك العصر التي تملكها الجيوش الكبرى، وفي قوله: (يرميهم عن بعد سبعة أميل) تحديد دقيق للمشكلة، وهو مدى المدافع المتوفرة لديهم لا يصل إلى المدى الذي تقصف منه السفن الفرنسية، إذا فمعنى البيت الله أكبر ليس لدينا المدافع ذات المدى البعيد التي تمكننا من رد القصف عليهم وهم بعيدون عنا بهذه المسافة.

البيتين الأخيرين يقدمان وصفًا دقيقًا لأحد أوجه القصور في الجيوش المحلية أمام القوى الأوروبية في القرن الثامن عشر، وهو التفوق في المدفعية والأسلحة النارية، فقد كانت السفن الأوروبية مجهزة بمدافع ذات مدى وقوة دمار كبيرين مما سمح لهم بقصف الموانئ والمدن من بعيد دون المخاطرة بالاقتراب.

رابعا–الختام والنداء:

يـا صـاحب النفـس الكـريمـــة كـن لنـــا عـونـا يخصـك ربنـــا بتـــجـمـــل

يختتم الشاعر القصيدة بالنداء الموجه للخليفة العثماني مملوء بالإجلال والتبجيل، وفي وصفه بـ (صاحب النفس الكريمة)، ثناء على أخلاقه لاستمالته وجعله أكثر استجابة لنداء، وفي قوله: (كن لنا عونا)، فإن (كن) فعل أمر، لكنه هنا يأتي بصورة التماس ورجاء، و(لنا عونا) فلنا تأكيد على العلاقة والتبعية، وعونا هذا الطلب هو صلب القصيدة والهدف منها.

أي أنه يقول له: يا أيها الخليفة ذو النفس النبيلة والسجية الكريمة، كن ناصرًا ومعينًا لنا وسيجزيك ربنا على هذا الفعل الجميل بأعظم المكافآت والثواب.

وهذا البيت هو ختام مؤثر للقصيدة بطريقة متقنة حيث جمع فيه بين: (الثناء والإجلال، والطلب المباشر، والحافز الديني والأخلاقي)، وأيضا فيه استمالة ذكية فالطلب ليس من موقع الضعف فقط، بل من موقع أن هذه النصرة هي فعل كريم وسينال عليه أعلى الجزاء من الله، مما يجعل هذا التدخل ليس مجرد مساعدة لتابعين بل هو استثمار في الآخرة وفرصة للتكريم الإلهي، وأخير هناك التذكير بالمسؤولية متمثل في النداء بـ(صاحب النفس الكريمة) فيه تذكير للخلفة بصفاته التي يتغنى بها الناس، ويحمّله مسؤولية الالتزام بهذه الصفات عملياً عن طريق نصرتهم.

خاتمة البحث:

تمثل قصيدة أحمد عبد الدائم الأنصاري وثيقة تاريخية بالغة الأهمية، تقدم رؤية متعددة الأبعاد للواقع السياسي والعسكري لولاية طرابلس الغرب العثمانية في القرن الثامن عشر، وتكشف لنا هذه الدراسة عدد من الحقائق لعل أهمها:

1. نجاح القصيدة في تجسيد طبيعة العلاقة بين الأطراف والمركز في الخلافة العثمانية، حيث برزت التبعية السياسية والعسكرية المباشرة مع الحفاظ على هوية محلية مميزة، وقد أظهرت القصيدة كيف كانت الولاية تعتبر نفسها جزءا عضويا من الجسم العثماني، مما يدحض الروايات التي تتحدث عن انفصال مبكر للأقاليم عن المركز.

2. كشفت القصيدة عن عمق الوعي الاستراتيجي المحلي بإشكاليات المواجهة مع القوى الأوروبية، خاصة فيما يتعلق بالفجوة العسكرية، وقد مثلت طلبات الدعم العسكري المحددة (كالمدافع بعيدة المدى) دليلا صارخا على الإدراك الدقيق لطبيعة المواجهة ومتطلباتها.
3. أوضحت الدراسة دور الأدب كوسيلة اتصال سياسي فعالة، حيث مثلت القصيدة قناة اتصال غير رسمية؛ لكنها بالغة التأثير بين الولاية والمركز، وهذا ما يفتح الباب لإعادة تقييم الكثير من النصوص الأدبية كمصادر تاريخية يمكن أن تكمل الصورة التي تقدمها الوثائق الرسمية.
4. ساهمت القصيدة في تسليط الضوء على استراتيجيات المقاومة المحلية التي طورتها الولاية لمواجهة التحديات الأمنية، مما يثبت أن هذه الولايات لم تكن مجرد متلق سلبي للأوامر، بل كانت شريكا فاعلا في الدفاع عن الحدود.

توصيات البحث:

1. توثيق النصوص الأدبية التاريخية لحمايتها من الاندثار والسعي لجمعها في سلسلة وثائقية متكاملة.
2. ربط التاريخ بالحاضر من خلال دراسة كيف استفادة الدول الحديثة من هذه التجارب في مواجهة التحديات المعاصرة.
3. التوجه للدراسات المقارنة وذلك بتطبيق منهجية مماثلة على ولايات عثمانية أخرى للخروج برؤية شاملة.

وفي الختام، تظل قصيدة الأنصاري شاهدة على حيوية التاريخ الإسلامي وقدرته على تقديم دروس مستمرة للأجيال المتعاقبة، وهي تذكرنا بأن الوثائق الأدبية يمكن أن تكون نوافذ نطل منها على حقب تاريخية بكامل أبعادها.

قائمة المصادر والمراجع

أولا–المصادر:

1. عبد الحميد عبد الله الهرامة: فصول من تاريخ ليبيا الثقافي، أصالة للنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1999.

ثانيا–المراجع:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر–بيروت، ط 3، 1414هـ.
2. أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، الغريبين في القرآن والحديث، ت: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط1، 1999م.
3. أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط 1، 2008م.
4. حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، ت: محمد الأسطى وعمار جحيدر، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط 2, 2001.
5. شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، تر: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط 3, 1994م.
6. الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، دار المدار الإسلامي، بيروت–لبنان، ط3، 2004م.
7. عبد الهادي التازي، أمير مغربي في طرابلس 1143هـ = 1731م أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي، د ط، د ت.

8. علي مصطفى المصراتي: أعلام من طرابلس، دار مكتبة الفكر، طرابلس– ليبيا، ط 2، 1392هـ 1972م.
9. محمد بن خليل ابن غلبون، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، ت: الطاهر الزاوي، دار المدار الإسلامي، بيروت–لبنان، ط1، 2004م.